الحرب الحاضرة ونتائجها

ذكرنا في مقالتنا السابقة (بورت ارثر والحرب الحاضرة) شيئًا عن اسباب هذه الحرب وانها تنازعٌ ومزاحمة على السلطة والتجارة في الشرق الاقصى لكن بين الدول الاوربيَّة على التحقيق ولاسيما بين الدولتين روسيا وانكلترا دولتي البر والبحر — الاولى تحاول ان تجد منفذًا بحريًّا لاساطيلها وتجارتها والثانية تخاف استحكال قوة الدولة الاولى في بحار الشرق الاقصى بما يهدد في المستقبل البعيد قواتها البحرية وفي الحاضر القريب تجارتها ونفوذها في بلاد الصين ولاسيما في ما يجاور منشوريا من ولايات الصين الشمالية

ان هذه الحرب اخذت مظهرًا آخر غير مظهرها هذا وتلبست باسباب أُخرى غير اسبابها الحقيقية . اما المظهر الذي اخذتهُ فتنازع دولتين احداهما شرقية من الجنس الاصفر والاخرى غربية من الجنس الابيض على النفوذ والتجارة في الصين اعمر بلاد الشرق الاقصى واكثرها سكانًا وغنى طبيعيًّا

واما الاسباب التي من اجلها شبَّ ضرامها فتهجم روسيا ومطامعها من الجهة الواحدة وشمم اليابان ووقوفها موقف الدفاع عن كيانها واستقلالها من الجهة الاخرى . كل ذلك صوَّرتهُ لنا الجرائد الآخذة بناصر اليابان ومن اسَّ لها من الكتَّاب والمؤلفين والخطباء والواعظين جيشٌ من امضى الجيوش سلاحًا وامرّها نزالاً وان كان سلاحهُ الاقلام وساحة وغاهُ الطروس والحقيقة في ضبابٍ من وراء ذلك كلهِ . راجع ما في سجلات الدول الاوربية من المعاهدات والمخابرات السرية ولاسيما سجلات بطرسبرج ولندن . راجع خريطة وادي ينغتسي وما على تلك الخريطة من المدن العامرة الغاصة بالسكان وما حوالي تلك المدن في جبالها واوديتها من الغنى الطبيعي . راجع ايضًا العلامات الحمراء والزرقاء والخضراء التي يضعها رسامو الخرائط للاشارة الى المحلات التجارية الاوربية ولمن من الممالك هذه المحلات . راجع تقاليد اهل بريطانيا العظمى وعاصمتهم لندن وتقاليد السلاف وعاصمتهم بطرسبرج وما مرَّ من المنازعات والمشاحَّات بين هاتين الدولتين العظيمتين . راجع تقارير غرفهم التجارية كتقرير اللورد برسفرد مثلاً وما يماثلها من تقارير رجالٍ تنتهي اسماؤهم بكوف او فيتش او اوف — راجع كل هذه تعلم اسباب الحرب الحقيقية . وتعلم ان اليابان (وكانت تتظاهر بالسلاح والمسكنة) كانت الآلة التي استخدمت لخدمة مقاصد هاتين الامتين كذا ارادتها هاتان

الامتان ان تكون وكذلك تظاهرت ثم اي انها العوبة هاتين الدولتين والحقيقة انها كانت تبطن ان تتلاعب باللاعبين بها وعلى ما يقول مثلنا تسرّ حسوًا في ارتغاء

اما الآن وقد انجلى للعيان ما تصبح اليهِ هذه الدولة من الاستبداد بالنفوذ والتجارة في الشرق الاقصى وما لديها من القوّات البرية والبحرية للذبّ عن حوزتها والتوصّل الى مطامعها والقيام دونها في وجه من يعارضها فلا شكّ أن ستتطوّر هذه الحرب الى طور غير ما كان يُظن ان تكونهُ في ابتدائها واليك البيان

كان يُظنّ قبل ان ابتدأت هذه الحرب ان اليابان ستحشد الى ساحات القتال في منشوريا وكوريا اربعماية الف مقاتل من خيرة جنودها بالعُدّة الكاملة قبل ان تحشد روسيا المئة الف او المئة والخمسين الفاً في الاكثر. وكانت النتيجة ظاهرة لهولاء الذين قدّروا هذا التقدير اي انهُ لا تمرّ السنة قبل ان تستولي اليابان على بورت ارثر وفلاديفوستك ومنشوريا بعد ان تطحن الروس طحناً وترمي بهم الى شرقي بيكال من شمالي خربين لا تبقي على احد منهم في منشوريا القتيل قتيل والاسير اسير. وتضطرّ روسيا الى تجييش جيش آخر من جديد. وهذا الجيش الثاني ليقفَ في وجه اليابان لا بُدّ ان يكون ما فوق الثلاثمئة الف مقاتل. وهذا مما يتعذّر عليها حشدهُ قبل ان تمرّ سنة اخرى من الزمان. فتمرّ من ثمّ سنتان واعلام النصر الباهر تخفق بنودهُ فوق جنود اليابان وليظهر للملا عجز الروس وفشلهم بازاء اليابان كما ظهر من قبل عجز الصين وفشلها فتزول هيبتهم من القلوب وتطمع فيهم بقية شعوب اسيا وعلى الارجح تكون خزينتهم قد فرغت من المال فتلجأ حينئذٍ صاغرة الى بعض دول اوربا يتوسّطن لها عقد صلح شريف ترضى فيهِ من الغنيمة بأن تبقى على ما كانت عليهِ قبل الحرب اليابانية الصينيّة اي تترك بورت ارثر وشأنها وكوريا وشأنها وتكتفي بميناء فلاديفوستك وشيء من شمالي منشوريا الى شمالي خربين وتقصر همّها من بعد ذلك على مناوأة اليابان وتتربص الفرص لاعادة الكرّة عليها. وبالاجمال تصبح اليابان شغلاً شاغلاً لروسيا بحيث تنسى معها الى امدٍ طويل تقاليدها في اوربا ومنازعة بعض دولها السيادة والنفوذ في اوربا واسيا معاً

واذا اصبحت اليابان شغلاً شاغلاً لروسيا فبالضرورة تصبح روسيا شغلاً شاغلاً لليابان لا تزال هذه تخاف من عواقب كرّتها عليها فترصد لذلك المعدّات والجيوش وينصرف همّها عن المزاحمة التجارية الى المجد العسكري والمحافظة على ما اوصلتها اليهِ حراب جنودها ومدافعهم من التفوّق والسيادة في كوريا ومنشوريا. ولا يزال من همّ هاتين الدولتين الاولى ان تاخذ بثارها وترد شيئاً مما خسرتهُ من مجدها ونفوذها والثانية ان تحافظ على ما نالتهُ وتبقى متربّعةً في

دست للجد العسكري الى أن تبلغ معدّات كلٍّ منهما غايتها . وحينئذٍ تنشب الحرب ثانية فتكون الحرب الثانية شرًّا من الاولى على كلٍّ من الدولتين لما يهرق فيها من الدماء وينفق من الاموال فتضحي فيها روسيا معظم رجالها وتنفق آخر فلس في خزينتها اخذًا بالثار وتخلّصًا من وصمة عار اتخذالها في الحرب الاولى . والنتيجة من كل ذلك ان اوربا ترى اليابان في نهاية هذا الحرب الثانية في حالةٍ من الضعف لا تخشى بعدها جانبها ولا تخوّف من مزاحمتها النفوذ ولا التجارة في املاكها الشرقيّة لان الحرب تتركها لا رجال عندها ولا مال ولا اساطيل فضلاً عن انها تكون قد استغرقت بالديون واصبحت ماليتها تحت سيطرة الماليين الاوربيين وهيهات ان تتخلّص رقبةٌ وضعت عنقها تحت نير هولاء

واما روسيا فمع انها تخرج من الحرب الثانية فائزة فلا يلحقها من الخسارة في المال والرجال تقف في ممالكها موقف الناقة من مرضٍ شديد لا تستطيع حراكًا ولا تقوى على معارضة دول اوربا الغربيّة فيصبحون وهم المسيطرون دونها على اسيا وافريقية مدةً طويلة لا يخشون فيها من معارضتها ولا من مسابقتها لهم لا في نفوذ ولا في تجارةٍ . وتنام انكلترا زمانًا على مخدّات من ريشٍ لا ترى في احلامها ما يرعبها من زحف جيوش الروس وفرسان القوزاق على املاكها في الهند ولا على ما يجاورها من البلدان المتاخمة كبلاد الافغان وفارس وخليج العجم . ولا شكّ ان مدّة نقه الدولة الروسيّة فيما لو وقع ما صوّرناهُ تكون بعيدة المدى حتى اذا عادت الى سالف قوّتها تكون دول اوربا ولاسيّما انكلترا قد حصّنت نفسها منها واقامت في وجهها من الحواجز ما يصعب تهجّمها عليها من فوقها وازعاجها كلما عنّ لها أنّ تُعنتها او تكسر من خيلاء نفوذها

والظاهر انّ كتّاب الانكليز كانوا يقدّرون التقدير الذي ذكرناهُ او شيئًا ممّا يقاربهُ فانك اذا راجعت كتاباتهم في جرائدهم المشهورة رأيتهم كانوا كالمجمعين على ما يأتي

(اولاً) انّ اليابان تحشد من الجنود في ساحات الحرب في السنة الاولى ثلاث مرات ما تستطيع روسيا حشدهُ في منشوريا وكوريا

(ثانيًا) ان الروس لا يستطيعون ان يحشدوا في منشوريا اكثر من مئتي الف جندي وذلك بعد ان يمرّ بهم ستة كاملة او ما يزيد عنها لانّ خطّهم الحديدي لا يستطيع ان ينقل اكثر من ٥٠٠ الى ٨٠٠ جنديّ في اليوم مع ما يكفي لتموينهم من الزاد والذخيرة

(ثالثًا) انهُ لا تمرّ السنة الاولى قبل ان تستولي اليابان على منشوريا كلها الى خربين

ومن جملة ذلك بورت ارثر وعلى فلاديفوستك ايضاً وما اليها من املاك روسيا الى شمالي خريين

(رابعاً) اذ صحَّ ما قدَّروهُ من امتلاك اليابان بورت آرثر وفلاديفوستك وما هو كالتابع لها من كوريه ومنشوريا الى خريين واذا كانت السكة الحديدية الروسيَّة لا تستطيع ان تنقل اكثر من ٥٠٠ الى ٨٠٠ جندي في اليوم فبالضرورة لا ترى روسيا افضل من عقد صلح موقَّت بمداخلة بعض الدول يرجع فيهِ القديم على قدمهِ وتُضمر روسيا بعد هذا الصلح معاودة الكرَّة بعد ان تضاعف الخط الحديدي السيبيري لكن الى فلاديفوستك فقط لانَّ الخط المنشوري الى بورت ارثر يكون قد خرج عن ملكها بموجب شروط عقد الصلح المزعوم. ثم هي لا يتم لها معاودة الكرَّة او الحرب قبل ان تمرَّ سنين عديدة مهما كانت ترغب في معاودتها. ومثلها في ذلك مثل فرنسا والمانيا فانهُ مرَّ على الاولى اربع وثلاثون سنة ولم يتأتَّ لها بعد او لم تجد وجهاً لارجاع الالزاس واللورين مع مزيد رغبة شعبها وحكومتها وتوالي احلامهم في استرجاع هاتين الولايتين

ولا يخفى انهُ لو كان يقع هذا التقدير لكانت الامة الانكليزية اكثر شعوب اوربا اغتباطاً بهِ لانهُ كان يصرف روسيا اياماً طويلة عن التعرض لهم بما يتجه من وجهة افكارهم الى اليابان. وربما تهيَّأ لهم في اثناء ذلك ان يبسطوا نفوذهم في منشوريا بما يكون تجارهم وبيوتهم المالية قد فعلوهُ من اخذ الامتيازات في تعدين المعادن وتسليف الاموال واستوهان الاملاك ما لا تستطيع معهُ روسيا بعد ذلك على مد نفوذها في منشوريا بالقدر الذي كانت تريدهُ وتحلم بهِ فيما لو كانت البلاد خالية من تعلقات التجار الانكليز

الاَّ ان هؤلاء الكتَّاب غلطوا على الارجح في تقدير قوة اليابان ومقدار استعدادها وغلطوا ايضاً في تقدير القوات الروسيَّة ولا سيما في مقدرة الخط الحديدي السيبيري على النقل. اما غلطهم في تقدير قوة اليابان فظاهر من انهُ مرَّ على اليابان ثلاثة اشهر قبل ان استطاعت ان تعبر اليالو بجند لا يزيد عن المئة الف مقاتل الاَّ ما هو دون الطنيف ثم مرَّ عليها ثلاثة اشهر اخرى قبل ان انزلت مئة وخمسين الفاً اخرين. وبالاجمال نقول انهُ بعد سبعة اشهر وسبعة عشر يوماً لم يتهيأ لقوادهم ان يضموا من قواتهم اكثر من ٢٤٠ الفاً هجموا بها على الروس في لياو يغ وعندها كان قد توارد على الروس من الجنود والذخائر ما استطاعوا معهُ على صد هجمات اليابان مرَّات متتابعة ايام حربهم فيها خسائر كبيرة ثم انسحب قائدهم الاكبر بجنوده الى مركدن لم يفقد جندياً اسيراً

واما غلطهم في تقدير القوات الروسية فظاهر من تفاني اليابان على حصون بورت ارثر وما ينالوا منها مأربا لحد هذه الساعة (١٥ نوفمبر) وكانوا يقدرون انها لا تلبث ان تسقط قبل ان يمرّ شهران او شهران وبضعة عشر يوما . والذي ارتجوه انها ستثبت الى ان يُرفع عنها الحصار وذلك قبل ان يمرّ شهران من اليوم او شهران وبضعة عشر يوما . واما الغلط في تقديرهم مقدرة الخط الحديدي السيبيري على النقل فناحش جدًّا لان الخط اصبح ينقل اكثر من ثمانية آلاف يوميًّا . وبعد ان كانوا يقدرون ان الروس لا تستطيع ان تحشد من الجند اكثر من مئتين وخمسين الفا (لان ما فوق هذا العدد تعجز وسائط النقل عن تموينه) تبيّن لهم انها تستطيع ان تحشد اكثر من خمسمئة الف جندي وقتها ايضا . وان هذا العدد لا تمرّ هذه السنة قبل ان يكون معظمهُ ان لم يكن كلّه في منشوريا وكوريا

وبناء على هذه الاغلاط لا بدَّ ان تكون نتائج هذه الحرب غير ما كانت تقدَّر في ابتدائها على ما مرَّ بك من تقدير كتاب الانكليز ومَن لفَّ لفَّهم . فإذا قلت وما ظنك في نتائجها قلتُ بعد ان تفاني من اليابان ما يقارب المئة الف من خيرة مقاتلتهم على حصون بورت ارثر . وبعد ان افنت المعارك ما بين كابينغ وموكدن ما يقارب هذا العدد او يزيد عليهِ وبعد ان تمكن قائد الروس الاكبر من المحافظة على جيشهِ عند هذه الساعة وتكاد تكون فواتهُ اليوم في منشوريا تكافئ القوات اليابانية فيها . وبعد ان اصبحت السكة الحديدية تنقل في اليوم ما يقارب الثلاثة الاف بأهبتهم الحربية . وبعد ان مرَّ على الروس نحو من ثمانية اشهر كانوا فيها ولا شك يدرّبون فيالهم على الحرب والصدام في تكتاتهم في اوربا وهما قليل سيتواردون تباعًا الى منشوريا وفلاديفوستك فتصبح جنودهم تزيد على الجنود اليابانية في المئة خمسين او ستين على الاقل . وبعد ان سافر اسطول البلطيك الى مياه الشرق الاقصى وبعد ان اخذ كورو بتكين خطة الهجوم الان وتوجهت القلبة بعض التوجه على اليابان — بعد ان ظهر كل ذلك ولم يمضِ على الحرب اكثر من ثمانية اشهر وبضعة ايام فما نظنُّ النتيجة الاَّ اوضح من الصبح وهي ان الحرب ستضع اوزارها بعد شهور ويتجلى ضبابها عن فوز الروس واخذال اليابان اخذالاً لم يكن في الحسبان عند كثيرين . ولا يبعد ان يعقد الروس الصلح في طوكيو (قبل ان تمرّ سنة من اليوم) كما نقل عن كبير قوادهم في بداءة الحرب فيما هو متوجه الى منشوريا لاستلام زعامة الجيوش فيها

وما اظن الروس يرضون ان يعقدوا صلحًا الاَّ ومنشوريا في حوزتهم او كالتي في حوزتهم وكوريا تحت حمايتهم فان جنودهم ستحتل هاتين البلادين بحيث لا تطمع دولة في اخراجهم

منها الاَّ اذا اتحدت دول اوربا باجمعها واميركا ايضاً على ذلك . وهذا بعيد الحصول على ما تدل عليهِ ظواهر الاحوال الحاضرة فان التنافر بالغ حدَّهُ بين الالمان والانكليز ويكاد من المستحيل ان يكونا في جانب واحد . وتقضي المعاهدات بين فرنسا وروسيا ان تلزم الاولى الحياد التام ان لم تكن في جانب روسيا . وواضح ان ضلع الدولة العثمانية مع الروس . واذا كانت المانيا في جانب روسيا فمن المرجح ان تكون النمسا على الحياد التام وعندها فلا ترى دولة ايطاليا الاَّ التزام العزلة وترك روسيا وشأنها مع اليابان . فان بقي دولة في غير جانب الحياد او في غير جانب الروس فانكلترا . وهذه دولة حكيمة سريعة التكيُّف بما يلائم الاحوال الحاضرة وبما يبعد بها عن الفشل والخسران ايضاً ولذلك فالارجح انها تلزم الحياد وتأخذ نصيبها في تيبت هنيئاً مريئاً بعد ان تعقد اتفاقاً مع الروس يضمن لها مصالح تجارها ونفوذها في الصين وتطمئن على املاكها في الهند

فان قيل لا بُدَّ لهذه الدولة من نزول ساحات الوغى مع الروس لان احتلال هؤلاء منشوريا وبسط حمايتهم على كوريا مما يهدِّد نفوذها وتجارتها في الصين . قلتُ ان هذه الدولة الحَذِرة المتأنية العاقلة لا تخطو خطوة الى الامام الاَّ بعد ان ترى ما يضمن فوزها فهي كما عُرف عنها تقدّر قبل النوم مضطجعاً فانها ان رأت في منشوريا وكوريا من جنود الروس الظافرة ما ينيف على المئتي الف على الاقل ورأت مع ذلك ان جنودها في ثغور تركستان واوربا لا تزال على عددها وأُهبتها وقد هزَّ النصر من شجاعتها وحماسها اذا رأت ذلك ورأت دول اوربا غيرها اما في جانب الحياد التام او هي اميل الى جانب الروس لا يسع حكمتها حينئذٍ الاَّ ترك التقاليد القديمة نوعاً وفتح باب للمصافاة بينها وبين الروس . والراجح انها تنتفع بذلك اضعاف ما كانت تنتفعهُ من مصافاة اليابان فيما لو اتيح الغلبة لهذه الدولة . وارجح ان عقلاء الامتين ينتحون منذ الان ابواباً وكوًى غير التي كانت قبلاً بينهم وبين الروس فيرى الشعبان الروسي والانكليزي ان مصالح الدولتين تقضي عليهما بترك المشاحّة والعدول الى الموافقة والمعاضدة . ولا يبعد في المستقبل ان يتحوَّل خط سيبيريا ومنشوريا الحديدي عن صبغتهِ الحربية الى صبغة تجارية نوعاً فيشتري الانكليز حينئذٍ قسماً كبيراً من اسهمهِ . لكن ذلك بعيد الان اذ لا بُدَّ قبل هذا التحول من اعمال الراي والفكرة ليجمع الخط عند تحوُّل صبغتهِ الحالية بين الصفتين التجارية والحربية بحيث تنتفع الامتان منهُ من غير ان تخوَّف احدى الدولتين من اثرة صاحبتها واستبدادها

وقد كان الاوربيون والدولة الانكليزية من جملتهم يحسبون اليابان دولة شرقية حديثة

النشأة مقصورة مطامعها على ترقية شؤونها الداخلية . وربما كان كثيرون يظنون ان ماظهر عليهم من آثار نهضتهم الحديثة انما هو قشر سطحي لا يلبث ان يزول بزوال القائمين به من الميكادو الحالي ومن حوله من رجال وزارته الحاليين. ثم هم كانوا يرون شدة ما بين اليابان والصين من التنافر والبغض حتى كانوا يرون ان الصينيين يفضلون الاستتباع للاوربي مهما كان في ذلك الاستتباع من العنف والمذلة على ان يروا اليابانى الاقزم صاحب الكلمة العليا بينهم والآمر في شؤونهم ولذلك كان اغلب الدول الاوربية يفضلون في سرهم اندحار الروس وكسر شوكتها في الصين لان ماينقص في نفوذ الروس يزيد في نفوذهم ويتوزع عليهم

ومع ما كانوا يطرئون من ترتيب جندية اليابان وحسن تدربها على القتال ما كانوا يقدرون قوتها بالمقدار الذي ظهر منها حتى ان بعض الكتاب الانكليز مع شدة تحاملهم على الروس والتنقيص من قدر قوتهم الحربية ما كانوا يرون اليابان تفوز عليهم الا بكثرة العدد لانهم كانوا يحسبون ان في مكنة اليابان ان تسوق الى ساحة القتال اربعة من جنودهم قبل ان تسوق روسيا جنديًا واحدًا . امَّا بعد ان رأوا ما رأوا من استماتة الجندي اليابانى في الدفاع عن بلاده واطاعة أوامر قواده وبعد ان رأوا ان الجيش اليابانى لا يقوى على قهره الا جيش يماثله عددًا من الروس الابطال انتبهوا لانفسهم واستفاقوا من غفلة موجدتهم على الروس فرأوا الخطر الاصفر يتهددهم على نفوذهم واملاكهم وتجارتهم في الشرق الاقصى بصورة الدولة اليابانية

وتصوير الواقع نقول خذ مثالاً الدولة الالمانية فانها اذا قدر الفوز لليابان اصبحت املاكها وتجارتها في الصين تحت رحمة اليابان . واليابان قادرة في اي زمن كان ان تشهر عليها الحرب وتطردها من الصين كما يُطرد الواغل او المستعطي الذليل . ومثلها النمسا وايطاليا فان اليابان لا تعبأ بهما وهي قادرة في اي وقت كان على التقطع بهما . بل فرنسا نفسها تستطيع اليابان ان تتهددها باكثر مما تستطيع ان تتهددها به روسيا لانها تستطيع متى قصدت ان تجمع جيشًا من ستين الى تسعين الفًا تجعل قاعدته في فرموزا وتغزو به املاكها في التونكين وتكون الغائزة في آخر الامر فان ستين الفًا الى التسعين من جنود اليابان في بلاد معادية لفرنسا تحبُّ التخلص من نيرها تقاتل مئة الف او مئة وعشرين الفًا من الفرنساويين . وهيهات ان تستطيع فرنسا ان تجند جيشًا من مئة الف وترسله في بواخر النقل الى الشرق الاقصى دفعة واحدة او دفعتين واليابان واقفة لها بالمرصاد بين فرموزا والتونكين باسطول لا يقل منعة الآن عن اسطول فرنسا في الشرق الاقصى فكيف به اذا كان الفوز لها على الروسية وصرفت

همتها لتعزيز بل اليابان اذا استثنى امرها بالنسبة على الروس تنحصر على تبديد الكلتر وتهديد نفوذها في كل الشرق الاقصى افقد من روسيا وذلك بدون ان تتجاز اليها الصين فكيف اذ ادعت الصين لقياد اليابان وطمعت ان تطرد بمساعدتها الاجانب من بلادها

وهب ان اليابان تترك الدول الاوربية وشأنها في الشرق الاقصى لاتفعل الا كما تفعل روسيا من مسابقتهم النفوذ والوجاهة واعلاء كلمتها على كلمتهم احيانًا فان هذا وحدهُ يكفي لاثارة احقادهم على اليابان اضعاف مايحتقدون بهِ على الروس لانهم اعتادوا ان يتحملوا ذلك لروسيا ولم يعتادوا ان يتحملوهُ لليابان فكيف اذا خافوا فوق ذلك مزاحمتهم في التجارة والسيادة وان يجرئوا الصين وسائر البلدان الشرقية على نقض الاوربيين من على اكتافهم ويطالبوهم بتخفيف نيرهم عن اعناقهم وان ينظروا اليهم نظرة الاكفاء والاضياف لا نظرة الاسياد والمالكين . كلُّ ذلك اصبحت اوربا تتوقعهُ من اليابان اذا تغلبت على روسيا وردتها الى بلادها مقهورةً مدحورةً وهذا ما لا يريدونهُ ولا يصبرون عليهِ . وقد بدأ كتابهم من المان وفرنسا وبين ان يكتبوا في مطامع هذه الدولة وتشرُّفها لمناوأة الاوربيين في الشرق الاقصى والعمل على طردهم لتحلَّ محلهم متى آن الاوان

والمأخوذ من كل ما ذكرنا ان الاوربيين اصبحوا في سرّهم على عكس ما كانوا اولاً اي اصبحوا يودّون انتصار روسيا وانخذال اليابان . والآن نأتي الى السؤال الذين نختم بهِ هذه المقالة وهو ما هي نتيجة هذه الحرب الحاضرة اجمالاً ومن جميع الاوجه ؟

ألمعنا من قبل الى نتيجة هذه الحرب فيما يتعلق بالدولتين المتحاربتين وفذلكة ذلك انهُ عما قليل ستظهر تباشير النصر لروسيا وبأفل طالع سعد اليابان الذي كانت تعظمهُ لما كثير من الجرائد والكتَّاب ونُعيد القول انهُ من المرجَّح ان يُعقَد الصلح في طوكيو قبل ان ينقضي الصيف القادم . اما نتيجتها اجمالاً فما يطول شرحهُ ولا بدَّ فيهِ من النظر الى اعتبارات مختلفة (١) نتيجتها باعتبار تعلقها بروسيا وحدها (٢) نتيجتها باعتبار تعلقها بانكلترا وروسيا والمسألة الشرقية الاوربية (٣) نتيجتها باعتبار تعلقها باوربا والشرق عمومًا

نتيجتها فيما يتعلَّق بروسيا وحدها

اما روسيا فستصل الى ما كانت تطلبهُ منذ اكثر من قرن — الى ميناء بحري لا يتسلَّط عليهِ الجليد يوصل تجارتها بسائر تجارة العمور ولاسيما في الشرق الاقصى . ودالني خير لها من احسن ميناء على البحر المتوسط . وعليهِ فالمرجَّح انها لتتنازل عن حدَّة تقليدها فيما يتعلق بالقسطنطينية

ويعود جلالة القيصر نقولا الثاني الى دعوة اوربا الى السلم مرّة ثانية كما دعاها الى ذلك من قبل . والذي نعتقدهُ ان دعوة القيصر دول اوربا لعقد مؤتمر السلم الماضي انما كان معناها اني عدلت عن التقاليد القديمة وتنازلت عن معظمها مما يتعلق بالاستانة . وكأنهُ كان يقول انّ داليّ اصبحت تغنيني عنها فلا اتعرّض من ثمّ لتكدير سلام اوربا وصفوها كما فعل اسلافي غير مرّة في القرن التاسع عشر لانهم كانوا يحاولون الوصول الى البحر من اقرب طريق وانسبهِ لهم لذلك الحين فكانوا بحكم الضرورة التي تدعو اليها المصلحة القومية يثيرون الحروب في شبه جزيرة البلكان توصُّلاً الى غايتهم تلك اما الآن وقد وجدتُ ضالّة امّتي المنشودة عن طريق داليّ وخطّ منشوريا الحديدي فانا ادعوكم للسلام واحافظ عليهِ

ولا يخفى ان القيصر كان لذلك الوقت يخاف ان يُنازَع على داليّ كما كان يُنازَع اسلافهُ على الاستانة . امّا بعد ان يُعقد الصلح في طوكيو فلا يبقى من ينازع امّتهُ على منشوريا لانها (على ما في عرف الاوربيين) اشتريتها بدماء الالوف من شبّانها . ثمن لم يُدفع اعظم منهُ الى الان لا في الصين ولا في الهند ولا في التونكين ولا في اواسط افريقيا ولا في شماليها . ولعلّها تستحق هذا الثمن امّا اولاً فلانها طريق تجارة عظيمة بين اوربا والشرق الاقصى واما ثانياً فلأنّ فيها من السكان ما يزيد عن الاثني عشر مليوناً وفضلاً عن ذلك هي بلاد طيبة الهواء خصيبة التربة والراجح انها كثيرة المعادن النفيسة ايضاً . واذا وقعت كوريا تحت سيطرة الروس ايضاً كان المبيع يناسب الثمن ويزيد عليهِ والمرجّح ان كوريا ومنشوريا ستكونان لروسيا ما كانت الولايات المتحدة لاوربا عموماً ولانكلترا خصوصاً . ولسوف تنشأ الانكار الحرّة في خريبن وداليّ وبورت ارثر ونيوشوانغ وشملبو الخ وتسري من هذه المدن الى روسيا واوربا فتعدّل وتغيّر من افكار اهل بطرسبرج وموسكو وغيرهما من المدن الروسيّة . ولسوف يتنبه هذا الشعب القوي البنية البسيط الفطرة الشديد التديُّن على اثر انضمام هاتين الولايتين الى بلادهِ لما يعقب ذلك من الحركة التجارية والمهاجرة من تلك الاصقاع واليها على ما كانت الحال عليهِ بين انكلترا واميركا

نتيجة هذه الحرب باعتبار تعلّقها بروسيا وانكلترا معاً

لا بدّ قبل انتهاء هذه الحرب من عقد محالفة بين روسيا وانكلترا متينة العرى تكفل لكلّ دولة دائرة نفوذها في الشرق الاقصى بحيث تتبادل الثقة بين هاتين الدولتين الى زمن طويل فلا يخاف الانكليز من مطامع الروس ولا الروس من مطامع الانكليز . وعندها يسعى

عقلاء الامتين الى العدول عن التقاليد الموروثة منذ اجيال والتي كان من مرماها ان تحاول كل دولة بخناق الاخرى وتسعى في معارضتها جهدها ليس لشيء اكثر من التشفي والانتقام وايقاع الضرر بالدولة المعارَضة وان لم تستفد المعارِضة بشيء. ثم لما كان جلّ منشإ النزاع بين هاتين الدولتين طموح الروس بابصارهم الى الاستانة ووقوف الانكليز في وجههم ابعاداً لهم تخوّفاً من نفوذهم ودوداً لهم عن التقحّم على املاكهم وطريق املاكهم في الهند اذا هم استولوا على هذا المركز المنيع في اوربا كان لا بدّ من ان يؤدي الاتفاق بينهما في الشرق الاقصى الى وضع حدّ لمنازعاتهما في جهات البلكان ايضاً . وهذا مما اصبحت روسيا ترغب فيهِ لانهُ اذا كان قد انصرف همّها عن الاستانة استغناء عنها بدانتي وشملبر مثلاً فلا يسعها منذ الان الاّ المحافظة على الاستانة وابقائها في ايدي العثمانيين ايضاً لانهُ لا يناسب مصلحة الروس اذا تخلوا عن الاستانة ان يسمحوا لغيرهم بالاستيلاء عليها وستنقلب سياستهم من الهجوم على الاستانة الى الدفاع عنها . وهذا يكفل سلامة املاك العثمانيين وبقاء الاستانة وما حولها في حوزتهم . واذا صح هذا الذي قلناهُ فمن نتائج هذه الحرب اذن انحلال عقدة المسألة الشرقية في اوربا فيصفو جوّ هذه القارّة في المستقبل القريب مما كان يكدّر آفاقهُ من مخائل الحرب مدةً بعد اخرى اللهمّ الاّ اذا ظهرت مطامع لدولة اخرى غير الروس في الاملاك العثمانية فان الروس يكونون في جانب العثمانيين . وربما لا نخطئ اذا قلنا ان الروس والعثمانيين سيكونون بعد هذه الحرب اقرب دولتين في اوربا واشدّهما الفةً واتحاداً . وفيما ظهر من تقرّبهما وتوادّهما منذ نشبت هذه الحرب الى الان دليل على ما سيكون بينهما من الوفاق والموالاة الى ما شاء الله

نتيجة هذه الحرب باعتبار تعلّقها باوربا والشرق الاقصى عموماً

لا يخفى ان اوربا هي المسيطرة الآن على الشرق الاقصى والمستبدة باهلهِ وممالكهِ والامل بعيد ان يتمكّن الشرق من الاستقلال بنفسهِ او من حمل اوربا على ان تنظر اليهِ نظرة المساوي. والراجح ان سيبقى تحت سيطرتها زمناً طويلاً بَعْدُ . ومعلوم انّ المسيطر المستبدّ يبقى على استبدادهِ (انْ لم يزدد استبدادهُ) مهما خلا لهُ الجوّ ولم يجد مزاحماً يتخوّف مزاحمتهُ . فاذا أنس ان هنالك وراء الاكمة قوياً آخر مثلهُ يطمع في سيادتهِ ويزاحمهُ عليها تحسّب من ميل المستبدّ بهم معهُ عليهِ فيجنح حينئذٍ الى مجاستهم والرفق نوعاً في معاملتهم

اذا سلمنا بصحة المبدإ الذي ذكرناهُ قلنا ان اوربا قسمان اوربا الغربية وفيها انكلترا

وفرنسا والمانيا واوربا الشرقية وفيها روسيا فكأنما روسيا في كفة وبقية الدول التي ذكرناها في كفة اخرى . ولما كانت المنازعة في الشرق الاقصى على اشدها بين روسيا وانكلترا كان كأن هنالك دولتين روسيا وانكلترا وبقية الدول تابعة لهما . ولو فرضنا ان روسيا تخرج من ميدان هذا القتال ذليلة مقهورة لم يبق في الشرق الا انكلترا لا تخشى مزاحماً ولا معارضاً حيث هي . اما اذا خرجت روسيا ظافرة لم تقلم اظفارها ولا تهشمت انيابها بقيت مناظرة لانكلترا تنازعها النفوذ . وهذا يحدو بكل من الدولتين (وان عقدتا بينهما اتفاقاً) أن تستميل الاهلين الى جانبها ليقوى نفوذها على مناظرتها . ولا يُستمال الاهلون الا بالرفق وحسن المعاملة ومراعاة العدالة بقدر الامكان . وهذا ما اخذ يفعلهُ التجار الانكليز ومن في الشرق الاقصى من ابناء البريطان على اثر احتلال الروس بورت ارثر ونيوشوانغ سنة ١٨٩٨ بحسب تقرير اللورد تشارلس برسفرد . فان جماعة الانكليز هناك على ما صُرّح بهِ في التقرير المذكور اخذوا يجاملون اهل منشوريا ويتقربون اليهم بانشاء المدارس واقامة الملاجىء والمستشفيات من جهة ومن جهة اخرى تجنبوا في معاشراتهم ومعاملاتهم وطلب امتيازاتهم كل ما من شأنهِ ان يجرح احساسات الاهلين . وما حصل في الماضي سيحصل مثلهُ في المستقبل فتتبارى كلٌّ من الدولتين الروس والبريطان في استمالة الاهلين اليها مخافة انحيازهم الى جانب صاحبتها . واذا تسابق الروس والانكليز في احسان معاملة الاهلين والتقرب منهم تبعهما في ذلك الفرنساويون والالمان وغيرهما من تجار بقية الدول الاوربية ايضاً

واليك خلاصة ما في هذه المقالة من نتائج هذه الحرب عموماً (١) انتباه الامة الروسية الى مجاراة اوربا الغربية في صناعاتها وتجارتها ونظاماتها وسيكون لهذه الامة النشيطة شأن يذكر في تاريخ العمران . (٢) اتفاق طويل المدة بين الروس والانكليز وتنازل الروس عن تقاليدهم فيما يختص بالاستانة فتبقى في يد العثمانيين ويكون الروس من اعظم انصارهم ايضاً وبذلك يصفو جوّ اوربا من منازعات المسالة الشرقية وتعدل دولها الى التحكيم فتُفصل بهِ معظم اختلافاتهم . (٣) يستريح اهالي الشرق الاقصى من غطرسة الغربيين نوعاً ويحسن الاوربيون معاملتهم ومجاملتهم بما لم يسبق لهم مثلهُ الى هذا التاريخ . وبالاجمال سيكون من وراء هذه الحرب اعظم خير ممكن للعالم اجمع لكن بالقدر الذي تحتملهُ طبيعة العمران والله اعلم

م . ع . ج